رحلة
إلى الدار الآخرة

د/ عبدالحميد هنداوى

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٧٧)

قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل»

(رواه الإمام أحمد)

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب).

وبعد: فهذه رسالة مستقلة اقتضت الحاجة أن أجعلها بين يدى هذه السلسلة المباركة - سلسلة الدار الآخرة - كاشفة لأغراضها، مبينة لقيمتها والحاجة إليها، وأسأل الله أن تفى بالغرض، وأن ينفع بها عباده، ويهدى بها من يشاء إلى صراط مستقيم.

عبدالحميد هنداوى

الجيزة فى ٢/ ٨/ ١٤٢٠هـ

الحاجة إلى هذه السلسلة

واقع عجيب:

إن المسلم اليوم يعيش واقعا عجيبا يبعده كل البعد عن التطلع إلى آفاق الدار الآخرة، ويحجب بصره وبصيرته عن رؤية حقائقها، والوقوف أمام مشاهدها، واستجلاء مواقفها العديدة التى تنتظر العبد، ولا بد له أن يقف فيها فى يوم لا ريب فيه، حيث يقف العبد موقف الإدانة والمحاسبة والجزاء.

وفى هذا الواقع العجيب - الذى يعيشه المسلم فى هذه الأيام - تتضافر الملهيات والمغريات، وتجتمع الشواغل والمهمات، ويُصَرف الناس عمدا عن التفكير فى الدار الآخرة أو الالتفات إليها سواء بالمرغبات أو المرهبات. عناصر عديدة شتى قد اجتمعت وتضافرت لتصرفك عن التفكير فى الدار الآخرة أو الالتفات إليها.

فتنة المال:

فالناس ما بين مضيق عليه مغبون، أو منعم مفتون! فالسواد الأعظم من الناس قد ضُيق عليهم فى أرزاقهم فلا يكادون يحصِّلون قوتهم إلا بشق الأنفس وجهدها فتراهم منشغلين ليلهم ونهارهم بتحصيل قوتهم، يعملون ويكدحون ولا يجتنون من ثمار عملهم إلا فتات موائد الأثرياء وأصحاب الأموال الذين يسخرون الفقراء فى ملء خزائنهم، وبناء حصونهم.

فأمثال هؤلاء المطحونين قد انشغل عامتهم بتحصيل حاجتهم العاجلة - مما يَسُدون به رمقهم ويسترون به عورتهم - عن الالتفات إلى الآخرة أو التفكير فى أمرها إنهم ليس أمامهم فرصة ولا سانحة للتفكير فيما وراء لقمة عيشهم.

إنهم دائما مشغولون بقوت يومهم، وإن حصل لهم ذلك القوت بالكاد باتوا يؤرقهم الخوف والقلق ألا يجدوا قوت غد.

أما الموسرون فقد ذاقوا لذة النعيم وفتنوا به، ورأوا أن ذلك

بفضل جدهم وحسن تدبيرهم فى جمع المال وتحصيله، وقالوا كما قال إمامهم قارون من قبل ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص : ٧٨).

ورأوا أن هذا المال هو إلههم ومعبودهم الأعظم، وأنه على كل شيء قدير، يقول للشيء كن فيكون، وظنوا أنه مهما أرادوا من شيء فإن المال قادر على صنعه وتحصيله، ولذا فهو الإله الذى لا ينبغى لهم أن يتوانوا عن خدمته وعبادته؛ فإنهم متى ما أهملوا أمره وضيعوا خدمته تفلت من أيديهم، وتخلى عن نصرتهم.

فلا سبيل إلى النعيم إلا به!

ولا سبيل إلى القوة إلا به!

ولا سبيل إلى السلطان إلا به!

ولكن لا سبيل إلى المال إلا بعبوديته، والتفانى فى خدمته، والاجتهاد فى طلبه وتحصيله، والتفكر فى آلائه بالليل والنهار، والتسبيح بعد أوراقه، والتحميد بذكر صفاته، فصاروا يذكرونه

قياما وقعوداً وعلى جنوبهم، وصارت آلة الحاسب، وسماعة الهاتف فى يد أحدهم كمسبحة العابد الذاكر. وقد أعجب هؤلاء ما هم فيه من النعيم، ورضوا بأن يكونوا لهذا المال عابدين، وله خادمين.

وصدق الله تعالى إذ يقول عن هؤلاء: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾** ﴾ (يونس).

هذا كله نوع واحد من الملهيات والفتن التى تفتن العباد وتصرفهم عن التفكر فى آخرتهم.

إنها فتنة المال، فتنة السراء والضراء! إنها فتنة اليسر والعسر التى يبتلى الله تعالى بها عباده ليرى من يصبر أو يجزع ومن يشكر أو يكفر.

﴿ **فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ**

التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ (الفجر).

ويأتى القرآن بالعلاج الناجع لهذه الفتنة، ألا وهو تذكر الآخرة، فيقول: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ (الفجر).

فتنة الاختلاط:

إذا تركنا تلك الفتنة جانبا، فمثلها أو أعظم منها فتنة أخرى، وهى فتنة الاختلاط وافتتان الرجال بالنساء، والنساء بالرجال.

وقد قال ﷺ: «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»[1]. ومن أعظم أسباب هذه الفتنة:

تبرج النساء وسفورهن وتفننهن فى إظهار مفاتنهن ومواضع الزينة منهن حتى يستملن الرجال، ويوقعنهم فى حبائلهن.

---

(١) أخرجه البخارى فى «النكاح»، (ج ٥٠٩٦)، ومسلم فى «الذكر والدعاء»، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، (ج ٢٧٤٠).

وتعظم آثار فتنة الاختلاط على غير المتزوجين من الشباب.

فتنة الأزواج:

أما المتزوجون فإن فتنة الرجال بالنساء والنساء بالرجال التى نبه عليها النبى ﷺ يكون لها فى حقهم معنى آخر بالإضافة إلى فتنة الاختلاط وما يخشى من جرائه من الفاحشة.

وذلك أن للمتزوجين فتنة أخرى من جهة ابتلاء كل واحد من الزوجين بصاحبه، فالرجل مبتلى بامرأته، والمرأة مبتلاة بزوجها.

وقد يصل ابتلاء الرجل بامرأته حدا يصير فيه عبدا مطيعا لرغباتها وأهوائها، وهو ما أخبر الله تعالى به فى كتابه حيث قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ...**﴾ (التغابن: ١٤)، قال ابن عباس - عندما سأله رجل عن هذه الآية فيما أخرجه الترمذى - هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم

وأولادهم أن يدعوهم، أن يأتوا رسول الله، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فى الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا. . .﴾[1].

أما فتنة المرأة بزوجها وابتلاؤها به فمن جهة عصيانها له فى طاعة الله، أو طاعتها له فى عصيانه. وقد تكون فتنة المتزوجين بعضهم ببعض من فتنة السراء أو فتنة الضراء، ولكنها على أية حال فتنة عظيمة تصرف الكثير من الأزواج عن التفكر فى أمر الآخرة والالتفات إليها.

فتنة الإعلام:

ومن الفتن العظيمة التى صرفت الناس عن التفكر فى أمر الآخرة - بل لعل لها النصيب الأعظم فى ذلك - وسائل الإعلام بصورها المختلفة من الإذاعة والتلفاز ودور السينما والمسرح والجرائد والمجلات التافهة التى تحاول شحن عقل القارىء أو

(١) أثر ابن عباس أخرجه الترمذى فى «التفسير»، (٣٥٥٠)، وغيره، وأورده الشيخ الألبانى فى صحيح الترمذى (ح ٢٦٤٢)، وقال: «حسن».

السامع بكل غث وسمين لاسيما بعد دخول الأجهزة الحديثة فى بيوت المسلمين من أجهزة الفيديو والدش وغيرها.

لقد دمرت تلك الأجهزة والوسائل البقية الباقية من عقول البشر، وشغلت تلك المساحة الضيقة جدا من التفكير التى كان من الممكن أن تتبقى لهم بعد تلك الشواغل التى سبق ذكرها.

ولكن قد امتلأت العقول والقلوب وأترعت بالباطل حتى طفحت به فلم يكتف الناس أن يكونوا سامعين للباطل مشاهدين له بل صاروا فاعلين له مقلدين إياه بصورة تلقائية غير واعية.

سبب تصنيف هذه الرسالة:

لعل فى هذا التمهيد بذكر ما آل إليه واقع المسلمين اليوم ما يبرر أن نجدد الكتابة فى هذا الموضوع الذى كثرت فيه الرسائل قديما وحديثا.

ولعل كثرة هذه الرسائل إنما تعبر عن حاجة المسلمين إلى

مثل هذه التذكرة.

كما تعبر عن إقبال كثير من المسلمين - الذين سئموا الباطل وملوه - على ما فيه نفعهم وخيرهم فى الدنيا والآخرة. والحق أن كثرة الرسائل وتزاحمها فى هذا الجانب لا تضر لكثرة الحاجة إليها، خاصة إذا ما تنوع الأسلوب واختلفت الطريقة من كاتب إلى آخر.

فقد يميل بعض القراء إلى طريقة المناقشة المنطقية الهادئة وقد يميل بعضهم إلى الطريقة الخطابية ذات النبرة العالية.

وقد يستهوى البعض قراءة المجلدات والمطولات فى هذا الجانب، وقد تقف حاجة البعض أو الكثير عند مطالعة رسالة قصيرة موجزة كرسائل هذه السلسلة.

ومن ثم فإن كثرة المصنفات وتنوعها فى هذا الباب وغيره من أبواب العلم لاشك أنه نافع ومفيد لاسيما إذا كان فى أمر تعم به البلوى، ويحتاج إليه كل مسلم، كما فى هذه المهمات التى تمثل ركنا ركينا من عقيدة المسلم، ألا وهى

الإيمان باليوم الآخر.

وقد عرف النبى ﷺ الإيمان: بأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

ماذا يعنى الحديث عن الآخرة؟

رغم أن الحديث عن الآخرة يعد حديثا عن ركن عظيم من أركان الإيمان فقد ظهر فى زماننا هذا - من ضعاف الإيمان - من يعد الحديث عن الآخرة سمة ومظهرا من مظاهر التخلف والتأخر؛ وذلك لأنه يدعو - فى نظره - إلى إهمال أمر الدنيا أو الزهد فيها، وترك عمارتها، مما يؤدى إلى تأخر المسلمين وتخلفهم عن اللحوق بركب الحضارة والتقدم.

والحق أن هذه دعوى مغرضة باطلة، لا يروجها إلا كل أفاك أثيم، من الذين امتلأت قلوبهم بحب الدنيا، فرضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، ويئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

وسبب إعلانهم تلك الدعوى الباطلة هو امتلاء قلوبهم بالغيظ والحقد على هؤلاء الذين قد أقبلوا على أمر الآخرة فتأهبوا لها وأعدوا لها عدتها، بينما هم منهمكون فى الدنيا، منشغلون بها ليلهم ونهارهم، ويعلمون أنهم ليس لهم فى الآخرة من نصيب، ومع ذلك فهم يكرهون كل الكراهية أن يظهروا أمام الناس فى صورة المقصرين المفرطين؛ فإذا بهم يشنعون على من يتحدث فى أمور الآخرة ويصفونهم بأنهم مثبطون للناس أو مخدرون لهم بتلك الأمور عن العمل والسعى للدنيا، أو أنهم مرهبون منفرون للناس، دُعاة إلى التقاعد والانصراف عن الجد والاجتهاد، راضون بالدّنِيَّة فى أمر دنياهم، قانعون بحقير العيش.

ثم إذا بهم يطيلون فى دعوى أن العمل عبادة، وأن الإسلام قد حث على السعى والعمل.

ثرثرة فارغة:

والحقيقة أنه لا طائل من تلك الثرثرة الفارغة؛ إذ لا تعارض

على الحقيقة فى الإسلام بين أمر الدنيا وأمر الآخرة، فالإسلام لم يحرم السعى والعمل والضرب فى الأرض ليكسب الناس أقواتهم ومعاشهم؛ بل إنه جعل الدنيا مدرجة للآخرة، ووسيلة معينة على أمرها؛ وسببا للتّقَوِّى على طاعة الله وابتغاء رضوانه ورحمته فى الدنيا والآخرة.

إنها وصية محمد ﷺ:

وكيف يعيب علينا هؤلاء الغافلون المغفلون أن نكثر ذكر الموت وقد أمرنا سيدنا رسول الله ﷺ أن نكثر ذكره وأوصانا بذلك، وفاضل بين الناس بحسب ذكرهم للموت، وجعل أكيس المؤمنين وأنصحهم لنفسه أكثرهم للموت ذكرا، وأشدهم له استعدادا.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت»[1].

---

(١) «صحيح» أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (ح ١٢١٠).

وعن أنس رضى الله عنه: أن رجلا ذكر عند النبى ﷺ فأحسنوا عليه الثناء، فقال النبى ﷺ: كيف كان ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا: ما كنا نسمعه يذكر الموت. قال: «فإن صاحبكم ليس هناك»[1].

ويشهد لهذا الحديث الحديثُ التالى:

عن ابن عمر رضى الله عنه: أن النبى ﷺ سئل: أى المؤمنين أكيس، قال: «أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس»[2].

وقد صح عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمَنكبى فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى الكبرى وغيرهما، وقال الهيثمى فى «المجمع»، (١٠/ ٣٠٩): «رواه البزار، وفيه ضعف.

(٢) «صحيح» أخرجه ابن ماجه والحاكم والطبرانى وغيرهم، وانظر الصحيحة (١٣٨٤).

(٣) أخرجه البخارى فى «الرقاق»، (١١/ ٢٣٧)، (ح ٦٤١٦). وغيره.

وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وكان حامد القيصرى يقول: كلنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعدا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى منها خائفا، فعلام تفرحون؟! وما عسيتم تنتظرون؟! الموت؟! فهو أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر، فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا.

وقال شميط بن عجلان: من جعل الموت نصب عينيه، لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها[1].

قال ابن مسعود رضى الله عنه: السعيد من وعظ بغيره. وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: إذا ذكر الموتى، فعد نفسك كأحدهم[2].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (ص ٥٥٤).

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (ص ٥٥٥).

وحكى فى قصر الأمل أن امرأة حبيب أبى محمد قالت: كان يقول لى - يعنى أبا محمد - إن مت اليوم فأرسلى إلى فلان يغسلنى ويفعل كذا وكذا، واصنعى كذا وكذا، فقيل لها: أرأى رؤيا؟ قالت: هكذا يقول كل يوم.

وعن إبراهيم بن سبط قال: قال لى أبو زرعة: لأقولن لك قولا ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتنى نفسى أن أرجع إليه[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أن نبى الله ﷺ قال: «استحيوا من الله حق الحياء» فقلنا: يا نبى الله، إنا لنستحيى. قال: ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء[2].

---

(١) المصدر السابق، (ص ٥٥٨).

(٢) الحديث أخرجه الترمذى (٢٤٥٨) وعزاه المباركفورى (٧/ ١٥٥) إلى أحمد =

شبهة وجوابها:

فهذه وصايا النبى ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بأحسان بالإكثار من ذكر الموت، وقد كان هذا دأبهم وشأنهم الذى أفلحوا بسببه وسجلت به أسماؤهم فى عليين.

ولكن قد يقول المغفلون المشنعون علينا بالإكثار من ذكر الموت، إن الإكثار من ذكر الموت والآخرة يزهد الناس فى الدنيا ويحقرها فى أعينهم ويهونها لديهم، وبذلك يدعون العمل والسعى لعمارة الأرض.

فنقول لهم، قد صدقتم فى ذلك!

ولكنها كلمة حق أريد بها باطل كما قال على رضى الله عنه!

وتصديق كلامكم ما قاله الحسن البصرى رحمه الله حيث قال: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذى لب[1] فيها فرحا؛

= والحاكم واللفظ له، والبيهقى، وقال الحاكم فى المستدرك: (٤/ ٣٢٣) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، وقال مخرج جامع الأصول بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(١) أى: عقل.

وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها».

ولكن نقول لكم: مهلا مهلا، ورويدا فى تشنيعكم وتلبيسكم على عباد الله أمر دينهم!.

فالحق أن ما جاء فى كتاب الله تعالى وفى سنة النبى ﷺ وهدى أصحابه وتابعيهم من الحث على ذكر الموت والآخرة، والإكثار من ذكرهما ما أريد به ترك العمل ولا التهاون فى عمارة الأرض، ولا دعوة المسلمين إلى التقاعد والتخاذل والتخلف عن ركب الحضارة وعمارة الأرض.

كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠). فأمر الله تعالى أن نعد لأعداء الإسلام ما استطعنا من قوة، ومعنى ذلك أنه مهما تقدم أعداء الإسلام فى وسائل القوة والتكنولوجيا الحديثة التى يتمكنون بواسطتها من السيطرة على المسلمين وأراضيهم ومقدساتهم، فإن على المسلمين أن يعدوا

لهم من وسائل القوة والتكنولوجيا الحديثة أقصى ما يمكن أن تناله أيديهم وهو ما يوحى به التعبير القرآنى «ما استطعتم».

فإذا كان تعلم تلك التكنولوجيا والتوصل إلى تلك الوسائل المتطورة مما هو فى استطاعة المسلمين بدليل استطاعة أعدائهم له، فإنه يجب على المسلمين على سبيل الوجوب المؤكد أن يتفوقوا على أعدائهم إلى أقصى حد ممكن فى صناعة تلك الوسائل المتطورة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

إذن فأين الدعوة إلى التخاذل والتقاعس والتخلف يا من تشنعون علينا بالإكثار من ذكر الآخرة؟! كيف؟ والقرآن ملىء بالدعوة إلى العمل والسعى والاجتهاد؟

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وتأمل هذه الآيات - فيما آتاه الله تعالى آل داود من الملك والقوة، وما أمرهم به من العمل والاجتهاد فى عمارة الأرض وإصلاحها واتخاذ وسائلها المتاحة لديهم فى عصرهم -

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)﴾ (سبأ).

هذا إذا كتاب الله تعالى يدعو إلى العمل وعمارة الأرض.

وأما السنة النبوية الشريفة فيكفى فى ذلك حديث النبى ﷺ «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»(١).

وقد طبق ذلك أصحاب النبى ﷺ والصالحون بعدهم فكان

---

(١) «صحيح» أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى فى «الأدب المفرد»، وعبد بن حميد من حديث أنس، وانظر صحيح الجامع (ح ١٤٢٤)، وانظر الصحيحة (ح٩).

الواحد منهم يراه الناس شيخا كبيرا وهو يزرع من الشجر ما لا يثمر إلا بعد سنين عديدة، ليأكل منها الناس من بعده.

إذن لا تعارض فى الإسلام بين أمرى الدنيا والآخرة! ولا تعارض بين الحث على الإكثار من ذكر الموت والآخرة، وبين الحث على العمل والجد والاجتهاد!

وقد يقول أحد هؤلاء المشنعين: كيف ذلك والأمران متضادان متعارضان؟!

ونقول لهذا الجاهل: كلا ليس هناك تضاد ولا تعارض! فإن كل ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من ذم الانشغال بالدنيا والانهماك فيها والإقبال عليها إنما هو فيمن انحصرت همته فى طلب الدنيا لذاتها، لا لأجل الاستعانة بها على تحقيق مطالب الدين، ومقاصد الشريعة.

فأما من اجتهد فى طلب الدنيا للاستعانة بها فى طاعة الله وأمر الآخرة فهذا هو السعيد الذى قد أحاط بأسباب السعادة وأقطابها.

وهنا نعود لنجيب على السؤال الذى طرحناه آنفا:

ماذا يعنى الحديث عن الآخرة إذاً؟

إن الحديث عن الآخرة لا يعنى أن نهمل الدنيا ولا أن نضيعها ولا أن نترك العمل والسعى وعمارة الأرض؛ بل إن المطلوب من المسلم فقط هو أن يصلح نيته فى طلب الدنيا، فيجعل طلب الدنيا لأجل الآخرة، لا لأجل تحصيل متعها ولذاتها الفانية دون عمل واستعداد ليوم لا ريب فيه.

وتأمل قول الله تعالى - فى نصح المؤمنين الصالحين - لقارون وأمثاله: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(القصص: ٧٧). إذاً فليس المراد هو ترك الدنيا وإهمال أمرها وإنما أن يبتغى العبد بها الدار الآخرة فتكون الدنيا عونا له على أمر آخرته، ومرضاة ربه سبحانه.

نعم إن الحديث عن الآخرة يثبط النفس عن طلب الدنيا!

ولكن عن أى الدنيا يثبط؟

إنما يثبط عن الدنيا بلهوها وزخارفها ومتعها الزائلة! أما تحصيل خيرها والجد فى عمارتها بطاعة الله تعالى: فليس للحديث عن الآخرة مقصود ولا جدوى سوى ذلك! فكيف يقال إنه دعوة إلى التخاذل والتخلف؟

ألا ترى إلى قول الله تعالى فى سورة الحديد ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

ألا ترى كيف امتن الله تعالى على عباده بإنزال الحديد وتسخيره لهم وما جعل فيه من المنافع والفوائد الدنيوية، ثم انظر كيف أنه أرشدهم إلى المقصد الأعظم من إنزاله ألا وهو تسخيره لنصرة دين الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾.

إذا فأى دعوة إلى العمل والاجتهاد واستغلال المنافع التى خلقها الله تعالى أعظم من ذلك؟!

ولقد ضرب أصحاب النبى ﷺ أروع الأمثلة فى تحصيل الدنيا وابتغاء الآخرة فكان منهم المثرون من التجارة كعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه، وأبى بكر الصديق رضى الله عنه وعثمان بن عفان رضى الله عنه، ولكن ماذا كانوا يصنعون بأموالهم؟ كانوا يجعلونها فى سبيل الله وفى منافع المسلمين وحاجاتهم والآثار والأخبار فى ذلك عنهم أكثر من أن تحصى.

والآن وقد انكشف لك باطل هؤلاء المغرضين، وبان لك من الأمر اليقين، فعلمت أن ذكر الآخرة لا مضرة فيه على العباد أو البلاد، بل فيه كل الخير والإسعاد، فلا ضير أن نلخص لك هنا أهم الفوائد التى يحصل عليها من يكثر من ذكر الآخرة:

ثمرات ذكر الآخرة:

١- الانتباه من الغفلة، والتيقظ للغاية التى خلق العبد لأجلها ألا وهى عبادة الله تعالى حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٢- الإقلاع عن المعصية، والتوبة والإنابة إلى الله تعالى، فإن من أيقن بالموت وأنه مقبل على ملك الملوك فيسأله عما ضيع من أوامره، وما فرط فيه من حقوقه لابد أن ينزعج لما هو مقدم عليه، فيفكر فيما يكون فيه خلاصه ونجاته حيث يقف بين يدى الملك.

٣- راحة النفس وعدم الحزن والأسى على ما فات من أمر الدنيا ومتاعها الزائل لأنه يعلم علم اليقين أنه سوف يتركها إلى الآخرة وأن الدنيا جميعها إلى زوال وفناء، وكما أن المرء لا يحزن كثيرا إذا ما سلب خرقة بالية؛ لأنه يعلم أنها لا نفع فيها وأنها سرعان ما تفقد صلاحها فلا تكاد تستر جسده ولا تصلح لشيء، كذلك لا يحزن على فوات شيء من الدنيا لأنه يعلم أنها

سرعان ما تزول أو يزول عنها.

٤- إصلاح النية فى طلب الدنيا والاجتهاد فى تحصيلها لتكون مدرجة إلى الآخرة معينة على أمرها، فهى كالعملة التى تحصل بها الأشياء، وخير ما يحصل بها طاعة الله تعالى.

والحق أن ثمرات تذكر الآخرة أكثر من أن تحصى وإنما قصدنا فى هذه الخلاصة أن نبرهن على مدى الحاجة إلى الحديث عن الآخرة، والإلحاح عليه، والإكثار منه، وأن الكلام فى هذا الباب مهما كثر وكثرت فيه التصانيف فإنه خير محض ولا مضرة فيه.

وإذا كانت النفوس مجبولة على السعى والجمع وتحصيل الأموال والمنافع والخيرات كما قال ربنا فى صفة الإنسانُ الذى خلقه بيديه ﴿ وَإِنَّهُ لحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات، : ٨). وقال عنا أيضا: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠). فإذا كان هذا هو حال الإنسان، فلسنا بحاجة إذاً أن نرغبه فى تحصيل الدنيا وجمعها والإقبال عليها فهو مجبول على ذلك بغريزته، مقبل عليه،

منهمك فيه، وإنما الخير أن نوجه هذا الإنسان لكى يوجه سعيه وعمله وجمعه وماله لتحصيل ثواب الله ورضوانه وابتغاء جنة عرضها السموات والأرض لا تزول ولا تحول فهذا هو النفع الحق، وهذا هو الخير لمن أراده، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

سلسلة (رحلة إلى الدار الآخرة)

١ - رحلة إلى الدار الآخرة (المقدمة)
٢ - سكرات الموت.
٣ - القبر (روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار)
٤ - أشراط الساعة الكبرى.
٥ - أشراط الساعة الصغرى.
٦ - أهوال القيامة.
٧ - الحساب والصراط
٨ - وصف النار.
٩ - الشفاعة.
١٠ - وصف الجنة.